

الكتاب الثالث
الإسلام والشعر

obeikandi.com

الفصل الأول

القرآن الكريم والشعر

يزعم بعض النقاد من العرب والمستشرقين أن الإسلام منذ أشرق بنوره على شبه الجزيرة العربية جعل يخدم نار الشعر التي كانت تضيئ هذه المنطقة منذ مائة وخمسين سنة قبل البعثة المحمدية .

وكانت حجة هؤلاء النقاد من العرب والمستشرقين في العصر الحديث ومن سبقوهم من قدامى النقاد في العصر العباسي ، بعض الآيات القرآنية التي تحدثت عن الشعر فراحوا يتخبطون في تفسيرها .
يقول الله تعالى في سورة الأنبياء :

«اتقرب للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون * ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث إلا استمعوه وهم يلعبون * لاهية قلوبهم وأسروا النجوى الذين ظلموا هل هذا إلا بشر مثلكم أفتأتون الشعر وأنتم تبصرون * قال ربى يعلم القول في السماء والأرض وهو السميع العليم * بل قالوا أضغاث أحلام بل افتراء بل هو شاعر فليأتنا بآية كما أرسل الأولون» (١) .

والآيات الكريمة تنبيه من الله عز وجل إلى الناس بعمامة المشركين بخاصة على اقتراب الساعة ، وأن هؤلاء المشركين ما يأتيهم قرآن من الله سبحانه وتعالى مجدد نزوله ، مذكروهم بما ينفعهم ويفيدهم إلا استمعوه وهم مشغولون عنه ، بما لا فائدة منه ، ويسلكون في حياتهم السلوك الطفولي ، ولم يتأملوا ما في القرآن الكريم الذي أنزله الحق سبحانه وتعالى على رسوله من خير .

وتتحدث الآيات عن موقف المشركين من الرسول عليه الصلاة والسلام فهم لا يؤمنون به ، يزعمهم أنه بشر مثلهم ، ولماذا اختص بالوحي دونهم .

وراحوا يقولون فيما بينهم ، أفنتبعونه فتكونون كمن يأتي بالسحر وهو يعلم أنه سحر ، فيرد الله سبحانه وتعالى عليهم عما افتروه بأن الذى يعلم ذلك لا يخفى عليه خافية وهو الذى أنزل هذا القرآن المشتمل على خير الأولين والآخرين الذى لا يستطيع أحد أن يأتي بمثله إلا الذى يعلم السر فى السموات والأرض .

وتصف الآية الأخيرة تعنت المشركين وكفرهم ، وتحدث عن آرائهم فى القرآن وتخبطهم فى تفسير معجزته ، فتارة يقولون عنه سحرا ، وتارة يقولون عنه أضغاث أحلام ، وتارة يقولون إنه مفتري ، وتارة يقولون إنه شعر ، وأن رسول الله عليه الصلاة والسلام شاعر يؤثر فى نفوس الناس كما يحدث مع الشعراء .

فالآية الأخيرة اخبار عن تعنت الكفار واختلافهم فيما يصفون به القرآن فقالوا عنه أنه شعر ، وهى ليست إنكارا من الله سبحانه وتعالى للشعر .
ويقول الله تعالى فى سورة الشعراء :

*هل أتيتكم على من تنزل الشياطين * تنزل على كل أفاك
أثيم * يلتقن السمع وأكثرهم كاذبون * والشعراء يتبعهم
الفاورون * ألم تر أنهم فى كل واد يهيمون * وأنهم يقولون مالا
يفعلون * إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا
وانتصروا من بعد ما ظلموا وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب
يتقلبون* (١) .

يخاطب الله سبحانه وتعالى فى هذه الآيات الكريمة الكفار الذين راحوا يزعمون أن القرآن الكريم الذى أتى به الرسول عليه الصلاة والسلام ليس بحق ، وأنه كلام من وضعه أو جاءه من الجن ، فنزه الحق سبحانه وتعالى رسوله مما يفترون ، وأكد أن هذا القرآن الكريم من عند الله جل شأنه وأنه وحيد نزل به جبريل الأمين ، وأنه ليس من عند الجن أو الشياطين .

وكيف ينزل القرآن الكريم من عند الشياطين وهو يدعو إلى الخير بينما تدفعنا الشياطين إلى الشر . إن الشياطين ينزلون على كل من هم صورة مستوحاة منهم وهم الكهان الذين يتصفون بالكذب والفسق .

فالقرآن الكريم ليس بالشعر كما يزعم الكفار ، ومحمد عليه السلام ليس بشاعر كما يقولون ، ولقد أبطل الحق سبحانه وتعالى هذا الوصف الذي ألصقه المشركون بكتابنا المقدس وبرسولنا ﷺ ، وأكد أن القرآن الكريم هدى ونور وخبر وعدل للبشرية .

ووجه الحق سبحانه وتعالى حديثه إلى الكفار فأثبت لهم أنهم يتبعهم خلال الإنس والجن .

ويعنى الله جل شأنه أن لغة القرآن الكريم تختلف عن لغة الشعر الجاهلى ، وبينما القرآن عدل وصدق ، كان شعر ما قبل الإسلام فى كثير منه كذب وباطل ومنكر .

وكان الشاعران فى العصر الجاهلى يتهاجيان ، ويذكر كل منهما سوابق الآخر فى شعره ، وكان ينتصر لهذا مجموعة من الناس ، ولهذا مجموعة أخرى فكانت العصبية القبلية التى رفضها القرآن الكريم وأنكرها . لأن الشاعر الجاهلى كان فى قصيدته يمدح أناسا بالباطل ، ويذم آخرين بالباطل ، فالشاعر يقول فى شعره ما لا يفعله .

وتذكر الروايات أنه لما نزلت الآية الكريمة (والشعراء يتبعهم الغارون) جاء شعراء المسلمين - حسان بن ثابت وعبدالله بن رواحه وكمب بن مالك - إلى رسول الله ﷺ وهم يبكون وقالوا : قد علم الله حين أنزل هذه الآية أنا شعراء فتلا النبى عليه الصلاة والسلام (إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات) وقال : «أنتم» (وذكروا الله كثيرا) ، وقال : «أنتم» (وانتصروا من بعد ما ظلموا) ، وقال : «أنتم» ... ولكن هذا الاستثناء يدخل فيه شعراء الأتصار وغيرهم حتى يدخل فيه من كان متلبسا من شعراء الجاهلية بدم الإسلام وأهله ثم تاب وأناب ورجع وأقلع وعمل صالحا وذكر الله كثيرا فى مقابلة ما تقدم من الكلام

السيئ . فإن الحسنات يذهبن السيئات ، وامتحده الإسلام وأهله فى مقابلة ما كان يذمه . ويردون على المشركين الذين كانوا يهجون المؤمنين الذين اعتنقوا الإسلام^(١) .

ويقول الله تعالى فى سورة يس :

*وما علمناه الشعر وما ينبغي له - إن هو إلا ذكر وقرآن مبين * لينذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين*^(٢) .

وفى الآية الأولى يؤكد الحق سبحانه وتعالى أنه ما علم الرسول عليه الصلاة والسلام ، الشعر ، وما هو فى طبعه فلا يحسنه ولا يحبه ولا تقتضى مكونات شخصيته ومكانته السامية الرفيعة أن يكون شاعرا . لأن القرآن الكريم الذى أنزل على النبى ﷺ ينطق بالحق والعدل والصدق بينما الشعر الجاهلى يقوم على الهوى والكذب والمنكر . والقرآن الكريم ليس بشعر كما كان يزعم مشركو قريش ، وليس بالكهانة أو السحر الذى يقوم على الضلال . ولهذا كانت طبيعة الرسول عليه الصلاة والسلام تأبى نظم الشعر لأنه ليس أهلا له ، وإنما أنزل الحق سبحانه وتعالى عليه القرآن الكريم لينذر به كل حى عاقل .

ويقول الله تعالى فى سورة الصافات :

*إنهم كانوا إذا قيل لهم لا إله إلا الله يستكبرون * ويقولون إننا لتاركوأ آلهتنا لشاعر مجنون * بل جاء بالحق وصدق المرسلين*^(٣) .

والآيات تتحدث عن موقف الكفار من مشركى قريش مع الرسول عليه الصلاة والسلام ، وتأييد الحق سبحانه وتعالى لنبيه .

وهؤلاء الكفار كانوا إذا قيل لهم : لا إله إلا الله يتعالون ويستكبرون ، ولا يتقرون بهذا ويقولون أنحن نترك عبادة آلهتنا وآلهة آبائنا عن قول هذا

(١) ابن كثير : تفسير القرآن الكريم ص ٣٥٤ - ٣٥٥ - الجزء الثالث .

(٢) سورة يس الآيتان ٦٩ - ٧٠ .

(٣) سورة الصافات الآيات ٣٥ - ٣٧ .

الشاعر المجنون ويعنون رسول الله ﷺ وجعلوا يسبون النبي الكريم ويتهمونه كذبا وبهتاناً بأنه مستور العقل ، فيرد الحق سبحانه وتعالى عليهم بأن محمداً عليه الصلاة والسلام جاء بالحق ليدعوهم إلى عبادة الله جل شأنه الأحد الصمد وأنه بذلك صدق دعوة المرسلين فيما أخبروا عنه من الصفات الحميدة والمناهج السديدة وأخبر عن الله سبحانه وتعالى في شرعه وأمره كما أخبروا .

ويقول الله تعالى في سورة الطور :

فلذكر فما أنت بنعمة ربك بكاهن ولا مجنون أم يقولون
شاعر نتريص به رب المنون * قل تریصوا فإني معكم من
المرصين* (١) .

في هذه الآيات الكريمة يذكر الحق سبحانه وتعالى رسوله ﷺ بأن يبلغ رسالته إلى الناس ، ويشكر الله جل شأنه ما يلصقه به أهل الشرك من تهم باطله ، وأن نبيه الكريم ليس بحمد الله بكاهن كما يزعم كفار قريش لأن الكاهن الذي يأتيه الرئی من الجان بالكلمة يتلقاها من خير السماء ، كما أنه - الرسول - ليس بمجنون الذي يصيبه الشيطان باللوثة والجنون والمس .

ويقول الكفار من مشركي قريش ننتظر ونصبر عليه حتى يأتيه الموت فنستريح منه ومن أمره ، وينكر الحق سبحانه وتعالى عليهم حديثهم ويهددهم وينذرهم ويقول لهم جل شأنه ، انتظروا فإني منتظر معكم وستعلمون لمن تكون العاقبة والخير في الدنيا والآخرة .

ويذكر ابن كثير رواية في تفسير الآية :

أم يقولون شاعر نتريص به رب المنون .

ويقول : إن قريشاً لما اجتمعوا في دار الندوة في أمر النبي ﷺ قال قائل منهم احتبسوه في وثاق وتريصوا به رب المنون حتى يهلك كما هلك من كان قبله من الشعراء - زهير والنابغة - إنما هو كأحدهم فأنزل الله تعالى ذلك من قولهم (٢) .

(١) سورة الطور الآيات ٢٩ - ٣١ .

(٢) ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ص ٢٤٣ - الجزء الرابع .

قليلًا ما تذكرون ، تنزّل من رب العالمين ، ولو تقول علينا بعض الأقاويل ،
لأخذنا منه باليمين ، ثم لقطعنا منه الوتين ، فما منكم من أحد عنه
حاجزين) ... إلى آخر السورة قال عمر : فوقع الإسلام في قلبي كل موقع^(١) .

وهذه الآيات القرآنية التي لنظت الشعراء من المشركين والشعر بفهومه
رمضونه وأغراضه التي كان عليها في الجاهلية ، جعلت كثيرا من قدامى
النقاد والمحدثين يزعمون أن الإسلام أنكر الشعر وقلل من أهميته .
قال الأصمعي :

« الشعر نكد ، يقوى في الشر ، فإذا دخل في الخير ضعف ولان ... هذا
حسان فحل من فحول الشعراء ، في الجاهلية ، فلما جاء الإسلام ستط شعره^(٢) .
وقال ابن سلام :

« فجاء الإسلام وتشاغلت عن الشعر العرب ، وتشاغلوا بالجهاد وغزو
فارس والروم ، ولهت عن الشعر وروايته^(٣) .
وقال ابن خلدون :

« أعلم أن الشعر كان ديوانا للعرب ، فيه علومهم وأخبارهم وحكمهم ...
ثم انصرف العرب عن ذلك أول الإسلام بما شغلهم من أمر الدين والنبوة والوحى ،
وما أدهشهم من أسلوب القرآن ونظمه ، فأخسرا عن ذلك وسكتوا عن الخوض
في النظم والنثر زمانا^(٤) .

رواكب آراء الأقدمين بعض النقاد من العرب والمستشرقين المحدثين .
يقول جورجى زيدان :

(١) ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ص ٤١٧ - الجزء الرابع .

(٢) ابن عبد البر القرطبي : الاستيعاب في معرفة الأصحاب ص ١٢٧ - الجزء الأول .

(٣) ابن سلام : طبقات فحول الشعراء ص ٢٢ - الجزء الأول .

(٤) ابن خلدون : مقدمة ابن خلدون ص ٥٤٧ .

«أكثر شعراء الجاهلية من الفرسان والأمرء وأهل الحرب ، وأكثر أشعارهم فى الفخر والحماسة بما بين قبائلهم من التنازع ، ومرجع ذلك كله إلى العصبية . كل قبيلة تطلب الفضل لنفسها على سواها ، فلما جاء الإسلام وجمع كلمة العرب ، وذهبت العصبية الجاهلية ، لم تبق حاجة إلى الشعر والشعراء ، ناهيك باشتغال أهل المراهب والقرائح بالحروب فى الجهاد لنشر الإسلام وبالأسفار ، وقد أدهشهم أساليب القرآن ، وأخذتهم النوبة ، وانصرفت قرائحهم الشعرية إلى الخطابة لحاجتهم إليها فى استنهاض الهمم وتحريك الخواطر للجهاد» (١) .

ومن بين هؤلاء الذين أنكروا الشعر الإسلامى «عمر فروخ» (٢) و(بنت الشاطئ) (٣) وشكرى فيصل (٤) .

وتفترق بنا السبل مع قدامى النقاد والمحدثين ، وإننا لا نستطيع أن نقر الأصمعى عندما يزعم أن الشعر نكد ، يقوى فى الشر ، فإذا دخل فى الخير ضعف ولان ، وأن حسان بن ثابت كان فحلا من فحول الشعراء فى الجاهلية فلما جاء الإسلام سقط شعره .

ولعل الأصمعى يعنى بحديثه هذا الشعر الجاهلى بموضوعاته المختلفة ، من هجاء كان يقوم على العصبية والتعرة القبلية ووصف الخمر ، وغزل حسى فاحش ، ومدح قائم على الكذب والنفاق وتفاخر بالأنساب . وكلها موضوعات نهى عنها الدين الإسلامى وأنكرها القرآن الكريم . وكيف يطلب الأصمعى من حسان شاعر الإسلام والرسول أن يظل على ما كان عليه فى الجاهلية وهو الرجل الذى اعتنق الإسلام . وكان يبكى عند تلاوة الآيات التى تنذر مثل هؤلاء الشعراء الذين يتبعهم الغاوون ، وبهيمون فى كل واد ، ويقولون مالا يفعلون .

(١) جورجى زيدان : تاريخ آداب اللغة العربية ص ١٩٥ - ١٩٦ - الجزء الأول .

(٢) عمر فروخ : تاريخ الأدب العربى ص ٢٥٧ - الجزء الأول .

(٣) بنت الشاطئ : قيم جديدة للأدب العربى ص ٦٦ .

(٤) شكرى فيصل : تطور الغزل بين الجاهلية والإسلام ص ١٩٠ .

وأقول ، لقد كان حسان بن ثابت شاعرا مخضرا وكان أجود ما يكون في الإسلام ، لأن شعره عقب اعتناقه الإسلام تميز بصدق العاطفة .

ومع إيماننا بأن العرب مع فجر الإسلام تشاغلوا بالجهاد وغزو فارس والروم ، لكن هذه الفتوحات لم تصرفهم عن نظم الشعر كما يزعم ابن سلام ودليلنا على هذا حسان بن ثابت وعبدالله بن رواحه وكعب بن مالك ، وغيرهم من الشعراء ، بل إن هذه الفتوحات الإسلامية كانت نبعا اعترف منه بعض الشعراء قصائدهم الشعرية . كما سنرى فيما بعد .

ومع إيماننا بأن المسلمين قد تشاغلوا بأمر الدين الجديد والنبوة والوحى وأنهم انبهروا بأسلوب القرآن الكريم .

أقول مع إيماننا بهذا كله لكننا ننكر ما زعمه ابن خلدون ولا نقره عندما يقول إن أمر الإسلام والنبوة والوحى واعجاز القرآن انضب معينهم فأخرسوا وامتنعوا عن النظم والنثر .

وكذلك فإننا نرفض رأى الناقد العربى الحديث جورجى زيدان الذى كان صورة مستوحاة من كلام وآراء الأصمعى وابن سلام وابن خلدون .

إننا نختلف مع جميع النقاد التدامى والمحدثين الذين زعموا أن الاسلام صرف العرب عن الشعر فى فجر الإسلام .

وأقول ، إن القرآن الكريم أنكز بعض الأغراض التى لا تتمشى مع الإسلام بتعاليمه وقيمته .

إن الآيات القرآنية تعنى هؤلاء الشعراء من مشركى قريش والأغراض الشعرية التى نظموها فيها وأنكرها كتابنا المقدس .

لقد نهى الإسلام عن الغزل الفاحش والخمر ، والنعة القبلية ، فالإسلام دين المساواة والعدل ، ولا فضل لعربى على أعجمى إلا بالتقوى .

ومن الظلم للشعر العربى فى فجر الإسلام أن نقارنه بالشعر الجاهلى من ناحية الوفرة والكم ، فالتراث الجاهلى كان محصلة مائة وخمسين عاما ، بينما

الشعر العربى الذى نظمه الشعراء فى عهد الرسول عليه الصلاة والسلام والخلفاء الراشدين كان محصلة أربعين سنة ، وتخللت هذه المدة الفزوات والفتوحات التى وقعت فى أثناء العصر .

ومن العجيب الغرب أنه بينما ينكر قدامى النقاد الشعر العربى فى فجر الإسلام ، ويزعمون أن العرب أخرجوا عن حوض النظم فيه لأن القرآن الكريم نهاهم عن ذلك ، يزعم بعض المستشرقين وجود شعر فى كتابنا المقدس ، ومن هؤلاء «بروكلمان» الذى راح يحرف آراء محاولات النحاة العرب بحيث يستغلها للنيل من عقيدتنا الإسلامية والقرآن الكريم ، فجعل يورد الكثير من الآيات التى تجرى على البحور الشعرية والأوزان^(١) .

ونحن نرفض آراء بروكلمان بل نلفظها ، ودليلنا على هذا الآيات القرآنية التى أوردناها فى الصفحات الأولى وشرحناها . ومنها آيات سورة الحاقة التى يقول الله سبحانه وتعالى فيها :

«فلا أقسم بما تبصرون * وما لا تبصرون * إنه لقول رسول كريم * وما هو بقول شاعر قليلا ما تؤمنون * ولا بقول كاهن قليلا ما تذكرون ، تنزيل من رب العالمين» .

فالقرآن الكريم ليس شعرا أو سجعا كسجع كهان الجاهلية - كما أشرنا من قبل - وإنما هو تنزيل من الله سبحانه وتعالى وتنزيهه عن أن يكون شعرا ، لأنه من عند الله ولا يتميز بسمات الشعر .

وأقول ، إننا فى لغتنا اليومية وكلامنا نجد مثل (مستغلن وقاعلن) كثيرا فهل نعد لغتنا اليومية شعرا .
يقول محمد مصطفى هدارة :

«فالقرآن إذن فى نفيه أن تكون آياته شعرا صادق من الناحية الفنية كل الصدق»^(٢) .

(١) بروكلمان : تاريخ الأدب العربى ص ١٣٧ - الجزء الأول .

(٢) محمد مصطفى هدارة : دراسات فى الشعر العربى ص ٢٦ (الجزء الأول) .

الفصل الثانى

الشعر فى فجر الإسلام

زعم بعض النقاد القداسى أن الرسول عليه الصلاة والسلام نظم شعرا ،
وينسبون إليه هذه الأبيات :

والله لولا الله ما اهتدينا

ولا تصدقنا ولا صلينا

أنا إذا قوم بغوا علينا

وان أرادوا فتنة علينا

فأنزلن سكينتنا علينا

وثبت الأقدام إن لاقينا (١)

وقالوا إن النبى ﷺ قال هذه الأبيات يوم الأحزاب ، ونسبوا إليه هذا
البيت :

لا عيش إلا عيش الآخرة

فاغفر للأتصار والمهاجرة

وعلق ابن هشام على البيت قائلا : هذا كلام وليس برجز ، ونرى أن هذا
البيت مضطرب الوزن (٢) .

اتنا نرفض هذا الزعم ولا نقر هؤلاء الذين جعلوا ينسبون الشعر إلى
الرسول عليه الصلاة والسلام . ونقول إنه لم ينظم الشعر .

(١) ابن هشام : السيرة النبوية ص ٢٢٨ - الجزء الثانى .

(٢) ارجع إلى :

أ - ابن هشام : السيرة النبوية ص ٤٩٦ - الجزء الأول .

ب - محمد مصطفى هدارة : دراسات فى الشعر العربى ص ٣٣ (الجزء الأول) .

وكيف ينظم الرسول ﷺ الشعر وكان خلقه القرآن ، ويقول عنه الله سبحانه
وتعالى فى سورة يس :

﴿وما علمناه الشعر وما ينبغي له إن هو إلا ذكر وقرآن
مبين﴾ .

وتذكر الروايات انه عليه الصلاة والسلام كان لا يحفظ بيتا على وزن
منتظم بل إن أنشده زحفه أو لم يتمه وقالوا انه كان يتمثل بصدر البيت كقوله :
- كفى بالإسلام والشيب للمرء ناهيا - فقال أبو بكر رضى الله عنه يا
رسول الله .

- كفى الشيب والإسلام للمرء ناهيا - قال أبو بكر أو عمر رضى الله
عنهما : أشهد أنك رسول الله يقول تعالى (وما علمناه الشعر وما ينبغي له) .
ونذكر أيضا الروايات أنه كان يتمثل بعجز بيت طرفة .

- ويأتيك بالأخبار من لم تزود -

وهو عجز بيت من معلقة طرفة بن العبد منها :

ستبدي لك الأيام ما كنت جاهلا

ويأتيك بالأخبار من لم تزود

ويأتيك بالأخبار من لم تبع له

بتاتا ولم تضرب له وقت موعد

وقيل للسيدة عائشة رضى الله عنها : «هل كان النبي عليه الصلاة
والسلام يتمثل بشئ من الشعر ؟ قالت كان يتمثل ببيت أخى بن قيس فيجعل
أوله آخره وآخره أوله» ... فقال أبو بكر رضى الله عنه : (ليس هذا هكذا يا
رسول الله ..) فقال رسول الله ﷺ : (انى والله ما أنا بشاعر وما ينبغي
لسى) (١) .

وكما نسب المفكرون القدماء شعرا للرسول عليه الصلاة والسلام ، فقد زعموا كذلك أن الخلفاء الراشدين (أبو بكر وعمر بن الخطاب وعثمان بن عفان) رضى الله عنهم نظموا شعرا (١) .

ونحن نرفض آراء هؤلاء المفكرين القدماء ولا نقرهم فيما نسبوه من شعر إلى الخلفاء الراشدين ، ذلك لأن أبو بكر وعمر وعثمان كانوا يسيرون على هدى الرسول عليه الصلاة والسلام وكان لهم فيه أسوة حسنة .

وإذا كان الرسول عليه الصلاة والسلام لم ينظم الشعر امتثالاً لأمر الحق سبحانه وتعالى كما جاء في القرآن الكريم وليس عن ضعف أو جهل ، فإننا نراه قد شجع الشعراء من المسلمين وحثهم على نظمه للدفاع عن العقيدة الإسلامية . بحيث تتمشى موضوعاته مع ما جاء به الكتاب المقدس .

ووجدنا شعراء الإسلام وقد ابتعدوا عن الموضوعات الجاهلية التي نهى عنها القرآن الكريم من غزل فاحش ونعرة قبلية .

قال حسان بن ثابت في هجاء أبي جهل :

لقد لعن الرحمن جمعاً يقودهم

دعى بنى شجع لحرب محمد

مشرم لعين كان قدما مبغضا

يبين فيه اللؤم من كان بهتدى

فدلاهم فى الغى حتى تهافتوا

وكان مضلا أمره غير مرشد

فأنزل ربي للنبي جنوده

وأيد بالنصر فى كل مشهد (٢)

(١) ابن رشيقي القيرواني : العمدة ص ٢٠ - الجزء الأول .

(٢) حسان بن ثابت : الديوان ص ٢٢٣ .

فى هذه المقطوعة يهجو الشاعر أبا جهل رأس الشرك ويصفه بالكذب
والنفاق واللؤم وفى البيت الأخير يتحدث عن انتصار الرسول والمسلمين على
مشركى قريش وزعيمهم أبى جهل .
وفيه أيضا قال :

وإن تك مطعام العشيات من غنى

فإنك حياذ عن الحق مانع

وزادك ذم فى الحياة وإن تمت

فحظك ركن من جهنم واسع (١)

وكان أبو جهل قد اعتاد أن يلبس ثيابا خضرا ويطعم الناس فى داره ،
فنظم حسان فيه هذين البيتين يتهمه فيه بأنه يحيد عن الحق وأنذره بنار جهنم .
وهذا كعب بن مالك يهجو قريشا فيقول :

فكب أبو جهل صريعا لوجهه

وعتبه قد غادرته وهو عائر

وشيبة والتمى غادرن فى الرغى

وما منهم إلا بذى العرش كافر

فأمسوا وقود النار فى مستقرها

وكل كفور فى جهنم صائر

وكان رسول الله قد قال : اقبلوا

قولوا وقالوا : إنما أنت ساحر (٢)

فى هذه المقطوعة يهجو الشاعر مشركى قريش ويعيرهم بكفرهم وعبادتهم
الأصنام وينذرهم بجهنم .

(١) حسان بن ثابت : الديوان ص ٢٦٣ .

وأنت واجد الشاعر في البيت الأخير بخاصة وقد تأثر بآيات القرآن الكريم
ويقول كعب بن مالك في هجاء يهود بنى النضير :

لقد خزيت بغدرتها الحبور

كذلك الدهر ذو صرف يدور

وذلك أنهم كفروا برب

عزيز أمره أمر كبير

وقد أرتوا معا فهما وعلما

وجاءهم من الله النذير

فقالوا : ما أتيت بأمر صدق

وأنت بمنكر منا جدير

فقال : بلى ، لقد أديت حقا

يصدقني به الفهم الخبير

فلما أشربوا غدرا وكفرا

وحاد بهم عن الحق النفور

أرى الله النبي برأى صدق

وكان الله يحكم لا يجور

فأيده وسلطه عليهم

وكان نصيره نعم النصير

فتلك بنو النضير بدار سوء

أبارهم بما اجتمروا الميبر (١)

فى هذه الأبيات يهجو كعب بن مالك يهود بنى النضير ، ويعيرهم بكثرتهم
ويأخذهم على انكارهم نبوة محمد عليه الصلاة والسلام ، وما نسبوه إليه .

وكما نظم الشعراء المسلمون شعرا فى هجاء مشركى قريش والكفار فقد
نظموا شعرا فى مدح الرسول عليه الصلاة والسلام والخلفاء الراشدين .

يقول كعب بن مالك فى مدح الرسول عليه الصلاة والسلام :

فينا الرسول شهاب ثم يتبعه

نور مضئ له فضل على الشهب

بدا لنا فاتبعناه نصدقه

وكذبوه فكنا اسعد العرب (١)

ويقول أيضا فى الرسول ﷺ :

وفينا رسول الله نتبع أمره

إذا قال فينا القول لا نتطلع

تدلى عليه الروح من عند ربه

ينزل من جر السماء ويرفع (٢)

وأنت واجد فى مدح كعب للنبي عليه الصلاة والسلام شعرا يختلف عن
صناعة المديح عند شعراء الجاهلية ، فرأينا الشعر وقد تميز بصدق العاطفة
وجسد الشاعر فى أبياته قيم الإسلام ومثله ، وإيمانه بالعقيدة الإسلامية التى
أوحى بها الله سبحانه وتعالى على رسوله الكريم .

ويقول حسان بن ثابت فى الرسول عليه الصلاة والسلام :

متى يبد فى الداجى البهيم جبينه

يلج مثل مصباح الدجى المتوقد

(١) كعب بن مالك : الديوان ص ١٧٤ .

(٢) الديوان ص ٢٢٤ .

فمن كان أو من قد يكون كأحمد

نظام لحق أو نكال للحد^(١)

فأنت وابد الشاعر فى هذين البيتين يمدح النبى ﷺ بما هو أهل له ، فقد جاء ليخرج الناس من ظلام الجاهلية إلى نور الإسلام .

ويقول فى الخليفة أبى بكر رضى الله عنه :

وثانى اثنين فى الغار المنيف وقد

طاف العدو به إذ صعد الجبال^(٢)

وكان حب رسول الله قد علموا

من البرية لم يعدل به رجلا^(٣)

فى هذين البيتين لمدح الشاعر فى مدحه الخليفة أبى بكر رضى الله عنه ، يضمن شعره بروح القرآن الكريم ومعانيه وأسلوبه ، ويستشهد فى المقطوعة الشعرية بحدث ورد ذكره فى كتابنا العظيم .

يقول الله تعالى فى سورة التوبة :

﴿إلا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثانياً

اثنين إذ هما فى الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا

فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها وجعل كلمة

الذين كفروا السفلى وكلمة الله هى العليا والله عزيز

حكيم﴾^(٤) .

وتقول الروايات إن الرسول عليه السلام عندما أنشد حسان هذا الشعر -

الذى نظمه فى الصديق - ضحك ثم قال :

«صدقت يا حسان ، هو كما قلت»^(٥) .

(١) حسان بن ثابت : الديوان ص ٣٨٠ .

(٢) الغار الذى أختفى فيه الرسول عليه السلام وأبو بكر كان به جبل ثور قريب من مكة .

(٣) حسان بن ثابت : الديوان ص ٣٩٤ .

(٤) سورة التوبة الآية ٤٠ .

(٥) حسان بن ثابت : الديوان ص ٣٩٤ .

وقال حان في الأنصار :

قومي الذين هم أورا نبيهم

وصدقوه وأهل الأرض كفار

إلا خصائص أقوام هم سلف

للسالحين مع الأنصار أنصار

مستبشرين بقسم الله قولهم

لما أتاهم كريم الأصل مختار

أهلا ومهلا ففى أمن وفى سعة

نعم النبى ونعم القسم والجار

فأنزلوه بدار لا يخاف بها

من كان جارهم دارا هى الدار

وقاسموه بها الأموال إذ قدموا

مهاجرين وقسم الجاحد النار

سرنا وساروا إلى بدر لحينهم

لو يعلمون يقين العلم ما ساروا

دلاهم بغيرور ثم أسلمهم

إن الخبيث لمن والاه غرار

وقال انى لكم جار فأوردهم

شر الموارد فيه الخنزى والعار

ثم التقينا قولوا عن سراتهم

من منجدين ومنهم فرقة غاروا (١)

فى هذه الأبيات يفتخر الشاعر بقومه من الأنتصار الذين آزروا الرسول عليه
الصلاة والسلام ونصروه ، وجسد حسان فى المقطوعة الشعرية بعض المواقف
الكريمة للأنتصار مع النبي ﷺ .

ولم يكتف الشعراء المسلمون بهذه الأغراض التى تحدثنا عنها ، بل تراهم
وقد نظموا فى موضوعات أخرى .

يقول عبدة بن الطبيب :

أبنى إنسى قد كبرت وربانى

بصرى ، وفى المصلح مستمتع

فلئن هلكت لقد بنيت مساعيا

تبقى لكم منها مآثر أربع

ذكر إذا ذكر الكرام يزينكم

ورئاسة الحسب المقدم تنفع

ومقام أيام لهن فضيلة

عند الحفيظة والمجامع تجمع

ولهى من الكسب الذى يغنيكم

يوما إذا احتصر النفوس المطمع

ونصيحة فى الصدر صادرة لكم

مادمت أبصر فى الرجال وأسع

أوصيكم بتقى الإله فإنه

يعطى الرغائب من يشاء ويمنع

ويبر والدكم وطاعة أمره

إن الأبر من البنين الأطوع

إن الكبير إذا عصاه أهله
ضاقته يذاه بأمره ما يصنع
ودعوا الضغينة لا تكن من شأنكم
إن الضغائن للقرابة توضع
واعصروا الذى يزجى النماش بينكم
متصححا ، ذاك السمام المتع
يزجى عقاره ليعث بينكم
حرىا كما يعث العروق الأخدع
حران لا يشفى غليل فزاده
عسل بماء فى الإناء مشعشع
لا تأمنوا قوما يشب صبيهم
بين القوابل بالعداوة بنشع
فضلت عداوتهم على أحلامهم
وأبست ضباب صدورهم تنزع
قوم إذا دمس الظلام عليهم
حدجوا قنائف بالنميمة تنزع
أمثال زيد حين أفسد رطبه
حتى تشتت أمرهم فتصدعوا
إن الذين ترونهاهم إخوانكم
يشفى غليل صدورهم أن تصرعوا
رثينة من أمر قوم عزة
فرجت يداى فكان فيها المطلع

ومقام خصم قائم ظلناته
من زل طار له ثناء أشنع
أصدرتهم فيه أقوم درأهم
عض النكاف وهم ظماء جوع
فرجعتهم شتى كأن عميدهم
فى المهدي يرث ودعيتهم مرضع
ولقد علمت بأن تصرى حفرة
غبراء يحملنى إليها شرجم
فبكى بناتى شجوهن وزوجتى
والأقربون إلى ، ثم تصدعوا
وتركت فى غبراء يكره وردها
تسقى على الريح حين أودع
فإذا مضيت إلى سبيلى فابعثوا
رجلا له قلب حديد أصمغ
إن الحوادث يخترمن ، وإنا
عمر الفتى فى أهله مستودع
يسعى ويجمع جاهدا مستهترا
جدا ، وليس بأكل ما يجمع
حتى إذا واقى الحمام لوقتته
ولكل جنب لا معالة مصرع
نبذوا إليه بالسلام فلم يجب
أحدا وصم عن الدعاء الأسمع (١)

مشقال حبة من خردل فتكن فى صخرة أو فى السموات أو فى
الأرض يأت بها الله إن الله لطيف خبير ، يا بنى أقم الصلاة
وأمر بالمعروف وأنه عن المنكر واصبر على ما أصابك إن ذلك من
عزم الأمور * ولا تصعر خدك للناس ولا تمش فى الأرض مرحا
إن الله لا يحب كل مختال فخور * وأتصد فى مشيك وأغضض
من صوتك إن أنكر الأصوات لصوت الحمير* (١١) .

ونظم شعراء فجر الإسلام شعرا فى الشكوى :

أبلغ أمير المؤمنين رسالة

فأنت أمين الله فى النهى والأمر

وأنت أمين الله فىنا ومن يكن

أميننا لرب العرش يسلم له صدرى

فلا تدعن أهل الرساتيق والقرى

يسبقون مال الله فى الأدم الوفير

فأرسل إلى الحجاج فاعرف حسابه

وأرسل إلى جزء وأرسل إلى بشر

ولا تنسين النافعين كليهما

ولا ابن غلاب من سراة بنى نصر

وما عاصم منها بصغر عيابه

وذاك الذى فى السوق مولى بنى بدر

وأرسل إلى النعمان فاعرف حسابه

وصهر بنى غزوان وأنى لدو خبير

وشبلا فسله المال وابن محرش

فقد كان فى أهل الرساتيق ذا ذكر

فقسامهم - نفسى فداؤك - أنهم

سيرضون أن قاسمتهم منك بالشطر

ولا تدعونى للشهادة أنى

أغيب ولكنى أرى عجب الدهر

نؤوب إذا أبوا ونغزوا إذا غزوا

فأتى لهم رقر ولسنا أولى وقر (١)

وقد أرسل الشاعر «يزيد بن الصعق» هذه القصيدة إلى الخليفة عمر بن الخطاب رضى الله عنه ونراه فيها وقد صور بعض الولاة الذين نصبوا حكاما على أقاليم الدولة الإسلامية فى ذلك الوقت ، وجسد الشاعر فى الأبيات استغلال هؤلاء الحكام لمناصبهم وتجاوزهم أسس المبادئ والمساراة والعدل التى كان يجب أن يتصفوا بها فجمعوا الأموال ولم يحسنوا التصرف فيها .

وهكذا نجد الشعراء لم يسكتوا ولم يلقوا مكتوفى الأيدى فعبروا فى شعرهم عن مساوى هؤلاء الولاة ووجه الشاعر هذه الرسالة - التى كتبها فى صورة قصيدة - إلى الخليفة عمر بن الخطاب رضى الله عنه ليحاسبهم ويقوم اعوجاجهم .

ومن الأغراض الأخرى التى نظم فيها شعراء فجر الإسلام «الثناء» .

قال حسابن بن ثابت فى ثناء (حمزة) رضى الله عنه :

أتعرف الدار عفا رسمها

بعذك صوب المسبل الهاطل

بين السراديق فادمانة

فمدقع الروحاء فى حائل (٢)

(١) البلاذرى : فتوح البلدان ص ٤٧٣ .

(٢) سراديق : جمع سراح وهو الوادى أو المكان المتسع .

كنا نرى حمزة حرزا لنا
من كل أمر نابنا نازل
وكان فى الإسلام ذا تدرا
لم يك بالرائى ولا الخاذل^(١)
لا تفرحى يا هند واستحلبى
دمعا وأذرى عبرة الشاكل
وابكى على عتبة إذ قطه
بالسيف تحت الرهج الجائل
إذ خر فى مشيخة منكم
من كل عات قلبه جاهل
أرداهم حمزة فى أسرة
يمشون تحت الخلق الذائل^(٢)
غداة جبريل وزير له
نعم وزير الفارس الحامل^(٣)

فى هذه القصيدة يرثى حسان بن ثابت حمزة بن عبد المطلب رضى الله عنه الذى استشهد فى أثناء قتال الكفار فى غزوة أحد ، وتكشف الأبيات عن أثر الفجعة ووقعها فى نفوس المسلمين .

ومجد الشاعر وقد سلك فى رثائه منهجا يتمشى مع مبادئ الدين الإسلامى فتحدث عن حمزة رضى الله عنه وما قام به من أعمال جلييلة عقب اعتناقه الإسلام ، ووقوفه مع الرسول عليه الصلاة والسلام فى كثير من المواقف ينصره ويشد أزره ويعلى كلمة الحق والدين .

(١) ذا تدرا : ذا قوة .

(٢) الخلق : اللدوع .

(٣) حسان بن ثابت : الديوان ص ٢١٩ وما بعدها .

ولقد كان المسلمون يتسابقون من أجل الشهادة وكانوا يسارعون لقتال المشركين حتى يفوزوا بها فيكونوا من أهل الجنة ، وهذا ما صوره حسان بن ثابت في قصيدته التي رثى بها عم النبي عليه الصلاة والسلام .

وأنت واجد الشاعر وقد أورد في مراثيته سيرة حمزة الطيبة ، واستشهاده في سبيل الله والدين وفوزه بالجنة التي سيدخلها في الدار الآخرة لأنه قتل من أجل الحق ، وبذلك جعل حسان معاني القصيدة وأفكارها تتفق وروح الإسلام والقرآن .

يقول الله تعالى في سورة محمد :

*فإذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب حتى إذا اثخنتموهم فشدو الوثاق فإما منا بعد وإما فداء حتى تضع الحرب أوزارها ذلك ولو يشاء الله لانتصر منهم ولكن ليبلوا بعضكم ببعض والذين قتلوا في سبيل الله فلن يضل أعمالهم * سيهديهم ويصلح بالهم * ويدخلهم الجنة عرفها لهم* (١) .

ويقول تعالى في سورة البقرة :

ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله أموات بل أحياء ولكن لا تشعرون (٢) .

ويقول تعالى في سورة آل عمران :

*ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أموات بل أحياء عند ربهم يرزقون * فرحين بما آتاهم من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون * يستبشرون بنعمة من الله وفضل وأن الله لا يضيع أجر المؤمنين * الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح للذين أحسنوا منهم وأتقوا أجر عظيم* (٣) .

(١) سورة محمد الآيات ٤ - ٦ .

(٢) سورة البقرة الآية ١٥٤ .

(٣) سورة آل عمران الآيات ١٦٩ - ١٧٢ .

ويرثى «كثير بن الفريزة النهشلى» نفسه ورفاقه من الشهداء فيقول :

فلا تتبعدا يومى فإنى

سأوشك مرة أن تفقدانى

ويدركنى الذى لا بد منه

وإن أشفقت من خوف الجنان

وتيكينى نوائح معولات

تركن بدار معترك الزمان

جئاس بالعراق منههات

سواجى الطرف كالبتقر الهجان

أعاذلتى من لوم : دعائى

وللرشد المبين فاهديانى

وعاذلتى صوتكمما قريب

ونفعكمما بعيد الخبير وان

فردا الموت عنى إن أتانى

ولا وأبيكمما لا تفعلان^(١)

فى هذه القصيدة يرثى الشاعر نفسه ورفاقه من المسلمين الذين استشهدوا على أرض فارس فى عهد الخليفة عمر بن الخطاب رضى الله عنه . ووجدنا «كثير النهشلى» يصور فى الأبيات اللحظات الأخيرة قبيل استشهاده من أجل الإسلام والحق .

وأنت واجد القصيدة وقد تميزت بصدق العاطفة ، وجسدت لوحة ناطقة لمشاعر الإنسان وأحاسيسه فى هذه اللحظات .

رفى البيت الأخير يقترده الشاعر أن الحياة الدنيا التي نحيها مصيرها إلى زوال ، مهما طال عمر الإنسان . وهذا ما يؤكد لنا كتابنا العظيم .

يقول الله تعالى فى سورة العنكبوت :

كل نفس ذائقة الموت ثم إينا ترجعون^(١)

ويقول تعالى فى سورة السجدة :

*قل يتوفاكم ملك الموت الذى وكل بكم ثم إلى ركم
ترجعون*^(٢)

وهكذا ، نجد الشعراء فى فجر الإسلام وقد جعلوا قصائدهم تتمشى مع روح القرآن الكريم وأفكاره ومعانيه ، وتتمشى وقيم الإسلام ومثله . وما عرضناه من نماذج للشعر الإسلامى كان على سبيل المثال لا الحصر .

(١) سورة العنكبوت الآية ٥٧ .

(٢) سورة السجدة الآية ١١ .

obeikandi.com

الفصل الثالث

الرسول والخلفاء ونقد الشعر

قلنا إن الشعر قد تأثر بالدين الخفيف ، وراح شعراء المدينة مع شعراء مكة قبل فتحها في معارك أدبية ، فوجدنا حسان بن ثابت يمدح الرسول عليه السلام وينادى بدعوته .

ومع ذلك كان هناك بعض الشعراء الذين لم يستطيعوا التخلص من الموضوعات الجاهلية التي نهى عنها الإسلام ، كالخمر والهجاء والعصبية القبلية ومن أشهر هؤلاء الخطيب .
يقول شوقي ضيف :

«على أن من الشعراء من ظلوا بعيدين عن روح الإسلام على نحو ما هو معروف عن الخطيب ، فقد ظل يهجو على طريقة أسلافه ، وينذف الناس بحجارة الهجاء المقذعة ومثله عنده بن الطبيب وأبو محجن الشقفي إذ نراهما ينظمان في الخمر التي حرمها الإسلام وحرم معها جملة الآثام التي كان يرتكبها العرب في الجاهلية . ومن وجهة التعبير الفني الحاصل قلما اتضحت فروق بين شعر هذا الجيل وشعر الجاهليين ، ومن يصور ذلك قام التصوير المخيل السعدي وسويد بن أبي كامل والشماخ .

«وشعراء صدر الإسلام لا يميلون بهذه الظاهرة لسبب بسيط وهو أنهم نشأوا في الجاهلية ، وعرفوا فيها مثلاً من الشعر ظلوا مرتبطين به بعد إسلامهم ولعلنا إذا زعمنا بعد ذلك أن النقد لم يتغير ولم ينشط في هذه الفترة كنا مصيبين ، فقد شغل العرب عن الشعر بالقرآن والفتوح وقلما نسمع حديثاً عن الشعر» (١) .

ومع إيماننا بأن العرب قد شغلوا في الإسلام بالقرآن والفتوح ، لكن السبل تفترق بنا مع شوقى ضيف عندما يزعم أن النقد في ذلك العصر لم يتغير ولم ينشط وإن الاسلام لم يهتم بالشعر ، ولعله بذلك يواكب آراء قدامى النقاد والمستشرقين .

أعنى أن الرسول والخلفاء الراشدين والعرب قد اهتموا بالشعر ، وكانت لهم أحكام نقدية صحيحة ذكرتها كتب التراث .

وراح الشعراء في صدر الإسلام يتخذون من شعرهم سلاحا للدفاع عن العقيدة الجديدة وتعاليمها ، وواكب الشعراء موكب الإسلام ، فهذا النابتة الجعدى^(١) ، ينشد الرسول شعرا فيقول :

أتيت رسول الله إذ جاء بالهدى

ويتلو كتابا كالمجرة نيرا

بلغنا السماء مجدنا وجدودنا

واتا لترجو فوق ذلك مظهرا

فقال رسول الله ﷺ :

- «إلى أين أبا ليلي» ؟

فقال :

- إلى الجنة .

فقال رسول الله ﷺ :

- «إن شاء الله» .

وأنشده :

ولا خير في حلم إذا لم تكن له

بوادر تحمى صفوة أن يكذرا

ولا خير في جهل إذا لم يكن له

حليم إذا ما أورد الأمر أصدرا

(١) هو عبدالله بن قيس ، وقال البعض أن اسمه قيس بن عبدالله ، من جسد بن كعب بن ربيعة ، وأخوه جعد عليل وقشير والحريس ، وكان يكنى أبا ليلي ، وهو جاهلى ويقال أنه أقدم من النابتة الذيباني لأن النابتة نادم النعمان وهذا نادم آياه .

فقال رسول الله ﷺ :

- (لا يفضضن الله فاك)

قال :

- فبقي عمرة لم تنقص له من (١) .

وللرسول الكريم آراء نقدية قيمة في مفهومه للشعر ، أوردها ابن رشيقي في كتاب العمدة ، وهي آراء تتماشى مع العقيدة الإسلامية التي بعث من أجلها .

يقول عليه الصلاة والسلام عن الشعر :

« الشعر كلام من كلام العرب جزل تتكلم في بواديهها ، وتسل به الضغائن من بينها » .

ويقول أيضا :

« إنما الشعر كلام مؤلف فما وافق الحق منه فهو حسن ، وما لم يوافق الحق فلا خير فيه » .

ويقول كذلك :

« إنما الشعر كلام ، فمن الكلام خبيث وطيب » (٢) .

فالشعر عند الرسول ﷺ كلام ، لكنه ليس بالكلام العادي الذي يتحدث به الناس في حياتهم اليومية ، وإنما يتسم كلامه بالنظم وتحميز ألفاظه بالجزالة .

كما يرى الرسول الكريم أنه على الشاعر أن يكون صادقا مع شعره ، فمن وافق الحق فهو شعر حسن ، ومن كان شعره باطلا ، فشعره قبيح لا خير فيه .

وهكذا ، نجد أن تفسير الرسول عليه السلام لمفهوم الشعر ، يتمشى مع الإسلام بمبادئه وتعاليمه ، ولذلك فأنا نرفض الزعم الذي ساقه قدامى النقاد وبعض المستشرقين حيث قالوا إن الإسلام استهجن الشعر وقضى عليه .

(١) ابن قتيبة : الشعر والشعراء ص ٢٨٩ ، الجزء الأول .

(٢) ابن رشيقي : العمدة - ص ٢٧ - الجزء الأول .

وحقيقة أن العقيدة الجديدة كانت تعمل في أجل القضاء على النعرة
الثبيلية والعصبية وظاهرة الأخذ بالشأر ، وكلها كانت من رذائل العصر الجاهلي
جاهد الإسلام في الحد منها ، ومع إيماننا بأن العرب في صدر الإسلام قد انشغلوا
بالجهد وغزو فارس والروم ، أقول مع إيماننا بهذا كله لكن السبل تفترق بنا مع
شوقى ضيف الذى يزعم بأن هذه الفتوحات قد شغلت المسلمين عن الشعر كما
نرفض أن يكون هذا الجهاد على أساس لفظ هذا الجنس من الأجناس الأدبية كما
ذكرنا من قبل .

وفى قصيدة كعب بن زهير ، بانث سعاد العى أنشدها أمام الرسول عليه
الصلاة والسلام مضمان يدعم رأينا .

وتقول الروايات عن هذه القصيدة ، أن الرسول الكريم أعجب بها ، وفى
البيت الذى يقول فيه كعب :

ان الرسول لنور يستضاء له مهند من سيوف الهند مسلول

نرى الرسول يغير من أحد ألفاظه ويعدله بقوله :

ان الرسول لنور يستضاء له مهند من سيوف الله مسلول^(١)

والحقيقة أن هذا التغيير فى اللفظ ، إنما أراد به الرسول أن يوجه الشاعر
وغيره من الشعراء المسلمين إلى ضرورة انتقاء الألفاظ التى تتمشى مع الدين
الحنيف والعقيدة السمحة التى تؤمن بالواحد الحق .

نعم ... أن سيوف الله أمضى من سيوف البشر ، لأنها من أجل الحق ،
وعندما يعدل الرسول الكريم فى بيت كعب بن زهير فانه بذلك يكشف عن نقد
يعتمد على الشكل والمضمون ، ويتجه إلى اللفظ والمعنى - لقد كان عليه
السلام ذواقة للشعر .

ويلغ اعجاب الرسول بالقصيدة إلى حد انه وهب برده إلى الشاعر .

وفى رواية أخرى لابن رشيقي ان فتيلة بنت النضر بن الحارث عقب مقتل والدها عرضت للنبي وهو يطوف فاستوففته وجذبت رداه حتى انكشف عن منكبيه ، وأنشدته شعرا منه :

أمحمد ولداتك خير نجيبة فى قومها والفحل فحل معرق
ما كان ضرك لو مننت وربما من الفتى وهو المغيظ المنحق
فالنظر أقرب من قتلت قرابة وأحقهم من كان عتق يعتق

ويروى ابن رشيقي وابن الأثيران النبى عليه السلام بعد سماعه لهذا الشعر انذرق الدمع من عينيه وقال :

« لو سمعت شعرها هذا قبل قتله لمننت عليه » (١) .

ومن يرجع إلى ابن رشيقي فى العمدة ، بجده قد جعل الكثير من صفحاته للحديث عن مكانة الشعر فى الإسلام .

وهذا التفسير الذى وضعه الرسول فى مفهوم الشعر ، نراه عند عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى نقده لزهير بن أبى سلمى .

يقول صاحب الاغانى فى رواية له عن ابن عباس :

« خرجت مع عمر فى أول غزوة غزاها ، فقال لى ذات ليلة :

— يا ابن عباي أنشدنى لشاعر الشعراء .

قلت :

— ومن هو يا أمير المؤمنين ؟

قال :

— ابن أبى سلمى .

(١) ارجع إلى :

أ - ابن رشيقي : العمدة ص ٥٦ ج ١ .

ب - ابن الأثير : الكامل ص ٩١ ج ١ .

قلت :

- وم صار كذلك .

قال :

- لأنه لا يتبع حوشى الكلام ، ولا يعاقل فى المنطق ، ولا يقول إلا ما يعرف ، ولا يمدح إلا بما فيه ، أليس الذى يقول :

إذا ابتدرت قيس بن عيلان غاية من المجد من يسبق إليها يسود
سبقت إليها كل طلق مبرز سبوق إلى الغايات غير مزند
فلو كان حمد يخلف الناس لم يمت ولكن حمد الناس ليس بمخلد

أشدنى : فأنشدته حتى برق الفجر ، فقال :

- حسبك الآن : اقرأ القرآن» (١) .

تؤكد هذه الرواية تذوق عمر بن الخطاب للشعر ، وإحساسه بما فيه من جمال ، يتمثل فى سهولته وبعده عن حوشى الكلام ، أو القريب من الألفاظ الذى يستهجنه الذوق العربى .

وتتمثل جودة شعر زهير بن أبى سلمى عند ابن الخطاب فى التزامه الصدق الشعرى فى الحياة ومع الناس .

هذا المقياس الذى فسر به الخليفة عمر شعر ابن أبى سلمى ، هو فى الحقيقة صورة مستوحاة من أقوال الرسول فى الشعر ، وما نقد عمر لزهير إلا هدى من أثر النبى عليه الصلاة والسلام عن الشعر .

وخلاصة القول ، أن النقد فى عهد الإسلام قد بدأ بتشجيع الرسول عليه الصلاة والسلام له ، فكان يثذوق الشعر وينشده لأصحابه .

وإذا كان الشعر قد اتخذ من نفسه بوق دعاية للعقيدة الجديدة ، وراح يدافع عنها ، ويتغنى بالقيم والمثل الإسلامية ، ومدح الرسول ، وهجاء الكفار

فإننا نجد أن هذه الأسس الجديدة التي دخلت على الشعر قد انعكست على النقد ، فكانت المقاييس التي تتمشى به روح الإسلام ، واتجه النقد إلى الكشف عن سيئات خصوم الدعوة وعمل النقاد من أجل الخط من أفكار شعراء المشركين ، وكان هذا يستدعى من نقاد الإسلام مقابلة الحجة بالحجة ، فاتجه النقد إلى الموضوعية ، وراح نقاد العصر الإسلامي يدعون الشعراء والأدباء إلى التزام الصدق في القول ، والسلاسة في الكتابة والبعد عن الغريب وتطور النقد في ذلك العصر إلى ما يشبه التعليل وشئ من التفصيل ونوع من الموضوعية بينما كان اعتماده في العصر الجاهلي على الفطرة الذاتية .

obeikandi.com

مراجعة الكتاب الثالث

- ١ - القرآن الكريم :
- ٢ - ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ، القاهرة . عيسى الحلبي .
- ٣ - ابن عبد البر القرطبي : الاستيعاب في معرفة الأصحاب ، القاهرة ، المطبعة الشرقية .
- ٤ - ابن سلام : طبقات فحول الشعراء - تحقيق محمود شاكر - القاهرة ، مطبعة المدني .
- ٥ - ابن خلدون : مقدمة ابن خلدون ، القاهرة . دار الشعب .
- ٦ - ابن هشام : السيرة النبوية - شرح السقا - القاهرة . عيسى الحلبي ١٩٥٥ .
- ٧ - ابن رشيقي : العمدة - تحقيق محمد محي الدين - القاهرة ١٩٥٥ .
- ٨ - ابن قتيبة : الشعر والشعراء - تحقيق أحمد شاكر - القاهرة ، دار المعارف ١٩٦٦ .
- ٩ - ابن الأثير : الكامل ، القاهرة . المطبعة الأزهرية ١٣٠١هـ .
- ١٠ - الاصفهاني : الأغاني ، القاهرة . دار الكتب .
- ١١ - البلاذري : فتوح البلدان - تحقيق صلاح الدين المنجد - القاهرة . مكتبة النهضة المصرية .
- ١٢ - المفضل الضبي : المفضليات - تحقيق أحمد شاكر - القاهرة . دار المعارف (الطبعة الرابعة) .
- ١٣ - بروكلمان : تاريخ الأدب العربي - ترجمة عبدالحليم النجار - القاهرة . دار المعارف ١٩٥٩ .
- ١٤ - بنت الشاطي : قيم جديدة للأدب العربي ، القاهرة . دار المعرفة . ١٩٦٠ .

- ١٥- جورجى زيدان : تاريخ آداب اللغة العربية ، القاهرة . دار الهلال . ١٩١١ .
- ١٦- حسان بن ثابت : ديوان حسان بن ثابت - تحقيق سيد حنفى . القاهرة ، دار المعارف ١٩٨٣ .
- ١٧- شكرى فيصل : تطور الغزل بين الجاهلية والإسلام . دمشق مطبعة جامعة دمشق ١٩٦٤ .
- ١٨- شوقى ضيف : النقد ، القاهرة . دار المعارف (الطبعة الرابعة) .
- ١٩- عمر قروخ : تاريخ الأدب العربى ، بيروت . دار العلم للملايين . ١٩٦٩ .
- ٢٠- كعب بن مالك : ديوان كعب بن مالك الأنصارى - تحقيق سامى مكى - بغداد ، مطبعة المعارف ١٩٦٥ .
- ٢١ - محمد مصطفى هدارة : دراسات فى الشعر العربى ، الاسكندرية دار المعرفة الجامعية ١٩٨٢ .